

علي جواد الطاهر وجهوده في تدريس اللغة العربية م.م. صادق عباس هادي الطريحي كلية التربية / جامعة القادسية

التمهيد

السيرة العلمية للطاهر

ولد الطاهر في الحلة سنة ١٩١٩ لأسرة تقرأ وتكتب^١ وفي السنة السادسة من عمره دخل المسجد (الكتاب) ليتعلم القرآن الكريم أولاً ثم الكتابة والحساب علي يد الشيخ علي الأحمر لقاء أجر محدد يدفع بعد ختمة القرآن، وبعد سنة أو أكثر تعلم القراءة ثم الكتابة وختم القرآن وأصبح (خلفة)^٢ و(الخلفة) هو طالب قديم ولامع يختاره الشيخ لتعليم (الصناع) الجدد و(الصانع) عند الكتاتيب يعني الطالب في المصطلح التربوي.

ثم دخل المدرسة الابتدائية بعد امتحانات نصف السنة مقبولاً في الصف الثاني، وقد تأثر الطاهر علمياً في هذه المرحلة بالشيخ رزوقي أو عبد الرزاق السعيد وهو رجل معمم كان يدرس طلبته في الكتاب، ثم أخذ طلبته جميعاً وذهب بهم إلى المدرسة، في وقت كان الوضع العراقي العام لا يحبذ الدخول إلى المدارس^٣، وفي الصف السادس تأثر الطاهر بكتابين هما (قواعد اللغة العربية) لروفائيل أبو إسحق بجداوله المزينة له، و(النحو الواضح) لعلي الجارم ومصطفى أمين، بتبويبه المترف وورقه الصقيل وحره الجميل وطريقته الاستقرائية، وبمعلم أديب هو هاشم الحلبي الذي كان يوسع من دائرة القراءة للطلبة فيضيف إلى المنهج المقرر الصحف والمجلات ويصحح الأغلط في التلفظ^٤.

وفي المرحلة المتوسطة تأثر بأستاذه محمد أحمد المهنا الذي يعده معجزة الصف الأول، وأفرد له مقالة في كتابه (أساتنتي ومقالات أخرى) ومنه تعلم الطاهر أثر النشاط اللاصفي في درس اللغة العربية، من ضبط النحو وصحة النطق ودقة الاداء، فقد أخرج المهنا مسرحية (مجنون ليلي) لأحمد شوقي الأمر الذي دعا (شيخ) يدرس النحو على الطريقة القديمة إلى التعجب متسائلاً؟ فكان الجواب: إنه المهنا وكفى^٥.

وفي المتوسطة أيضاً يدرك الطاهر بعض صعوبات الكتاب المقرر (النحو الواضح) فبعض مواد الكتاب شائكة وفوق طاقة الطلاب مثل "الاعلال والابدال" يضطر الطالب إلى إرضاء المدرس على غير اقتناع أو تمكن، أو موضوع "تقديم المبتدأ على الخبر" أو "إعراب "حبذا المخترعون" و "ذا: اسم إشارة فاعل!" أو "إعراب فعلي التعجب" "ما أوسع الأمل" "ما : نكرة تامة بمعنى شيء مبتدأ... وعجائب أخرى يدرسها الطلبة كي ينجحوا، ولا يعقل أن تكون اللغة العربية على ما جاء في هذا الكتاب^٦. وفي المرحلة المتوسطة يبدأ الطاهر بتدوين مختاراته الأولى في دفتر خاص، ومن مختاراته كانت مستهلات المواكب الحسينية في العشرة الأولى من محرم، والمقطوعات التي ترددها البنات في يوم (المحية)^٧.

وفي دار المعلمين العالية يتأثر الطاهر بثلاثة أساتذة أجلاء عظماء (البصير، الراوي، ومصطفى جواد) كان البصير ذا علم وأدب وسلوك وشخصية، يخدم العربية بحس وطني، نزيهاً، جاداً، وكان الطاهر يجد في محاضراته: الأصالة وحسن

^١ موسوعة المفكرين والأدباء العراقيين، ج ١٩، حميد المطبعي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤، ص ٣٠.

^٢ مقالات الباب الواسع، اعداد وتقديم محمود كريم الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٢٤.

^٣ ظ: مقالات، ص ٥٨.

^٤ ظ: مقالات، ص ٧٧.

^٥ أساتنتي ومقالات أخرى، د. علي جواد الطاهر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٥.

^٦ ظ : مقالات، ص ٩٨.

^٧ ظ : م ، ن ، ص ٩٤.

الذوق ودقة التعبير، ولم يكن يمنح الدرجة على مقدار حفظ الطالب (الدخ) بل على مقدار ما نفذ إليه من شخصيته كلا في الشفهي أو التحريري، فضلاً عن طريقة البصير في التدريس من خلال السؤال والجواب والإملاء والتعليق^١. أما أستاذه طه الراوي فقد كان شيخاً مهيباً، راقى النطق، يقرأ الشعر بتؤدة، ويشعر الطالب معه بالقرب والألفة مع الاحتفاظ بالفارق، وقد درس على يديه في درس الأدب (البيان والتبيين) و(الكامل) و(الأمال) و(الحماسة) ويرى الطاهر أن تسمية هذا الدرس بالأدب كما كان يسميه الراوي أفضل من تسميته اليوم في كليتنا ب(الكتاب القديم) التي وردت البنا من جامعة فؤاد "لأن كلمة القديم تزي الطالب إنه سينجر إلى زمن سحيق ويدرس ما لا يهتم في عصره منه ... وما من شيء من هذا بصحيح"^٢. ويصف الطاهر أستاذه مصطفى جواد ب"العالم .. العلامة بكل ما يقتضي التحقيق من شمول مع خصوص، ولغة مع تأريخ، وخط واعجام، ومؤتلف ومختلف"^٣.

وفي مصر لم يتأثر الطاهر بأحد من أساتذته سوى أمين الخولي^٤، لكن ذلك لم يمنعه من انتقاده، لأنه شنأ المنتبى^٥، وفي مصر لم يتأثر الطاهر بأحد من أساتذته سوى أمين الخولي^٤، لكن ذلك لم يمنعه من انتقاده، لأنه شنأ المنتبى^٥، أما طه حسين فقد تتلمذ على يديه من خلال كتبه ومقالاته، وأعجب به لكونه باحثاً متتوراً، وتعلم منه ضرورة النظر في القديم وإعادة درسه ومناقشته^٦ وقد أشار الطاهر إلى ظاهرة تربوية سلبية منتشرة في جامعة فؤاد الأول وهي ظاهرة الغش في الامتحانات على العكس مما رآه في فرنسا، ويعزو الطاهر السبب في ذلك إلى طبيعة الأسئلة الفكرية في جامعات باريس لأنها تمتحن ذهن الطالب وشخصيته وتصرفه إزاء موقف جديد التي يستحيل فيها أن يتطابق جوابان، على العكس من الأسئلة (الدخية) التي تسهل على الطلبة الغش^٧. ولا يفوتنا أن نذكر اثر المستشرق بلاشير في الطاهر من خلال منهج البحث^٨.

ويعتقد الباحث أن تلك المؤثرات قد أفاد منها الطاهر وأسهمت في تكوينه علمياً وتربوياً، واستطاع إن يوظفها في تدريس اللغة العربية، فالمحيط الأدبي (الحلة) الذي عاش الطاهر فيه، والدرس اللغوي والديني الذي تلقاه في الكتاب قبل دخول المدرسة كان يعد الاساس في تعليمه وذلك بما يحمل القرآن الكريم من قيم خلقية، فضلاً عن بيانه الأدبي وفصاحته ودقة تعبيره. وكان الطاهر محظوظاً بما تهيأ له من أساتذة موهوبين في المراحل كافة، تأثر بهم، وتعلم منهم أولاً طريقة التدريس، وصفات المدرس الناجح وتنظيم المنهج، فضلاً عن المواد المنهجية المقررة. وكان الطاهر وفيماً ومبجلاً لأساتذته إذ وضع كتابه (أساتذتي ومقالات أخرى) للتعريف بهم ولتخليد ذكراهم.

واستطاع الطاهر من خلال مطالعته الخارجية ودقة ملاحظته أن يكون له رؤية منهجية في تدريس اللغة العربية، تمثلت أولاً في تدريسه للطلبة بوصفه معلماً ومدرساً واستاذاً جامعياً، ثم في جمعه لمواد كتابه (أصول تدريس اللغة العربية). ثم في تدريسه لهذا الكتاب في جامعة الرياض وما لمس من التقدم الذي أحرزه الطلبة، كل ذلك دفعه إلى نشر الكتاب في طبعات متعددة.

^١ ظ : أساتذتي، ص ٣٧.

^٢ ظ : م، ن، ص ٤٧. ٥١.

^٣ م، ن، ص ١٨.

^٤ م، ن، ص ٣٨٥.

^٥ م، ن، ص ٢٤٩.

^٦ م، ن، ص ٩٥: ومقابلة مع تلميذ الطاهر الدكتور عدنان العوادي.

^٧ م، ن، ص ٣١١. ٣١٤.

^٨ م، ن، ص ٣٨٦.

طرائق تدريس اللغة العربية

ترمي طريقة التدريس إلى إحداث تغييرات مرغوبة في سلوك المتعلم، وإكسابه المعارف والمهارات من أجل تحقيق أهداف تعليمية محددة، وعلى المعلم تحقيق ذلك بطريقة شائقة، وتحتاج مهنة التعليم إلى دراية مبنية على الفطرة والتدريب، وإن اختيار طريقة التدريس تقع على عاتق المعلمين، وإن معرفة المعلم لهذه الطرائق تساعده في تحديد الظروف الملائمة للتطبيق، وليست الطريقة قوالب جامدة يتقيد بها المعلم في كل الأحوال، بل عليه أن يكون المبتدع لطريقته، مرناً في اتخاذ الأساليب التي يفتتح بها، ولشخصية المعلم الأثر الكبير في التدريس، وقد يكون اهتمام الطلبة وانتباههم راجعاً إلى قدرة المعلم ومهاراته أكثر مما يرجع إلى طريقة التدريس أو مادة الدرس^١. ويعتقد الطاهر إن المعلم يعد جزءاً من الطريقة، لأن المادة العلمية وحدها غير كافية لتهيئة الطلبة، يصف الطاهر المعلم من خلال أستاذه البصير قائلاً " الأستاذ علم وأدب وسلوك وشخصية"^٢

وطرائق تدريس اللغة العربية كثيرة ومتنوعة، منها الطريقة التكاملية وطريقة التجزئة، وطريقة المحاضرة وطريقة المناقشة، والطريقة الإستقرائية والقياسية، وتدعو طرائق التدريس الحديثة إلى الطريقة التكاملية في تدريس اللغة العربية، لأن التكامل أسلوب لتنظيم عناصر الخبرة اللغوية وتقديمها بما يحقق ترابطها بصورة تمكن الطلبة من إدراك العلاقات بينها، وتوظيفها في أدائهم اللغوي من خلال محتوى لغوي متكامل العناصر مثل نص شعري أو نثري أو موقف تعبيرية، شفهي أو تحريري، ثم تقويم الطلبة أولاً بأول^٣، ويقول الطاهر "إن الصحيح في الأمر، الاحتفاظ بالوحدة مع التجزئة، أي إنك تراعي القواعد إذ تدرس الإنشاء... وكل ما في أمر التجزئة أنها عملت في أن يختص كل فرع بمزاياه فحين تدرس المطالعة تؤكد هدفها الخاص من سلامة الصوت وحسن الأداء مراعيًا قواعد النحو"^٤ وتؤكد تلميذة الطاهر، الدكتورة نادية غازي العزاوي هذه المزية عند الطاهر، فدرسه مزيج من الأدب والنحو والنقد في جو ودي من المناقشة والحوار.

كتاب أصول تدريس اللغة العربية ومنهجيته:

يعد هذا الكتاب ثمرة لعوامل تمازجت هي الدراسة والممارسة والامام بكتب مناظرة، أي إن الكتاب خلاصة لتجربة المؤلف في التدريس، وجاءت فصول الكتاب متوافقة مع تجربة المؤلف في الفروع التي درسها، وترك فروعاً أخرى لم يدرسها، مثل الخط والإملاء، دون أن يغفل الإشارة إليها في صفحات متعددة من الكتاب. والحقيقة إن جلّ من كتب في طرائق تدريس اللغة العربية قد مارسوا التدريس عملياً، دون أن يمنعهم ذلك من التوسع في كتبهم، لكن الطاهر في الحقيقة أراد أن يعلم الطلبة والمعلمين الذين سيقروا الكتاب كيفية الاستفادة من خبراتهم التدريسية وتسجيلها في الدفتر المساعد كما يسميه الذي يحمله المدرس معه دائماً، يسجل فيه ما يعن له من رأي وما يعترضه من مشكلة وما يعتقد إنه حل لها ويضمنه ما يعجبه من نصوص وما يجده عند الطلبة من صواب أو خطأ^٥. يؤمن الطاهر أن اللغة كائن حي، لذا يجب أن يقر ويدرس ما كان ذا صلة بالحياة، لأن الطالب يشعر بالحاجة اليه ويحس بالمتعة فيه كأني ثمر لذيد^٦.

وقياساً إلى كتب أخرى في طرائق تدريس اللغة العربية، يعد كتاب الطاهر مختصراً، لكنه جاء مركزاً، شديد التركيز، خال من الفضول والتكرارات، لأنه كما قلنا سابقاً ثمرة تجربة حية، لكن المؤلف أضاف إليه ملحقاً باسم منهج البحث، يعلم

^١ طرائق التدريس العامة، توفيق احمد مرعي ومحمد محمود الحيلة، دار المسيرة، عمان، ط٥، ٢٠١١، ص ٢٤-٢٥.

^٢ ظ : أساتنتي، ص ٣٥.

^٣ مداخل تعليم اللغة العربية/ دراسة مسحية نقدية، د. احمد عبده عوض، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٠، ص ٢١.

ص ٢١.

^٤ اصول تدريس اللغة العربية، الدكتور علي جواد الطاهر، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

^٥ ظ: اصول، ص ٢٥.

^٦ م، ن، ص ١٣.

الطالب أو الباحث كيفية كتابة البحث الأدبي، وهذا الفصل غير موجود ضمن كتب الطرائق الأخرى، لأنه درس مستقل بذاته، وسنرى لاحقاً أن الطاهر سيطور هذا الملحق إلى كتاب جديد باسم (منهج البحث الأدبي) ولأهميته سيصدر في طبعات متعددة أيضاً.

المبحث الأول

تدريس المطالعة والتعبير والقواعد

أولاً . القراءة:

القراءة أو المطالعة كما تسمى في الكتب المقررة على الطلبة هي إحدى المهارات اللغوية الأساس (القراءة، الكتابة، الحديث، الاستماع) وهي المهارة التي تمكن صاحبها من فهم المادة المكتوبة، والقراءة نوعان جهرية وصامتة، ولكل نوع غرض يؤديه، وقد اختلف الباحثون في أهمية القراءة، والوظيفة التي تؤديها، فالباحث داود عبده مثلاً، يؤثر الناحية الوظيفية للقراءة، وبالتالي يؤثر القراءة الصامتة، لأنها النوع الأجدى لفهم المقروء لأن ما يحتاجه الانسان في معظم هذه المواقف هو فهم المادة اللغوية المكتوبة، لا لفظ هذه المادة، وحتى تتمكن من الاسراع في القراءة نحتاج إلى التدريب على فهم المادة اللغوية المكتوبة في صمت، ويزعم داود عبده أن القراءة الصامتة هي القراءة الحقة، وأن القراءة الجهرية لها فوائد عملية فقط، وهي إفهام الآخرين^١.

ولو فحصنا هذا الرأي جيداً، لوجدنا أنه لا يحقق الأهداف المرجوة من القراءة، فما الفائدة من القراءة الصامتة إذا كانت خاطئة؟ فمن المعروف في اللغة العربية أن تغيير حركة داخلية أو خارجية في الكلمة يؤدي إلى تغيير معناها، ولا يمكن التحقق من قدرة الطلبة على القراءة إلا بالقراءة الجهرية. ويرى الطاهر أن القراءة الجهرية هي الأصل في القراءة، لأنها تعود الطلبة على سلامة النطق وجمال الأداء الصوتي^٢. ويرى الطاهر أن القراءة يجب أن "تخدم القواعد عن طريقها الطبيعي، أي بتعويد اللسان على اللفظ الصحيح السليم وبالعامل على تكوين السليقة. إن كثيراً من التلاميذ يخطئون في القواعد على الرغم من أن النص الذي يقرؤنه مشكول، وعليه فخير من الاستطراد النحوي تعويدهم صحة لفظ المشكول"^٣.

ويؤكد مانغويل في كتابه تاريخ القراءة إن هوفمان وهو أحد مدرسي الأدب المشهورين في جامعة هايدلبرغ في ألمانيا سنة ١٤٧٧ كان "بدل أن يجر الصف إلى مستنقع موحل من قواعد النحو والصرف، كان ينتقل بسرعة إلى قراءة النصوص نفسها، حيث كان يفسر لهم ما يسمح لهم من الاغتراف من كنوز النصوص"^٤ ومن ملاحظة النص أعلاه يتضح قرب أسلوب الطاهر من هذا الأسلوب. أما لمعرفة معاني الكلمات فيؤكد الطاهر على الطريقة الاستكشافية من خلال الاستعانة بالطالب على تشخيص الكلمة الصعبة وتفسيرها بمقتضى السياق الذي تظهر فيه.

وللطاهر (تجربة في تعلم القراءة) استقاها من تعلمه في الكتاب ملخصها إنه كان يقرأ فقط، ويحفظ فقط دون علم بمعاني المفردات أو إدراك التركيبات، ولكن المادة تبقى على مر الزمن تنكراً وفهماً، وفي دار المعلمين العالية كانوا يدرسون هذه النظرية (التكشيف) في التعليم بوصفها قديمة وباطلة، ولكنه لدى مراجعة التجربة وجد لها مكاناً من الصواب^٥. وقد أكد الطاهر على العنصر الجمالي في موضوعات القراءة وإن على المدرس أن يستثير انتباه الطلبة إلى الأخيلة والصور ليزيد في تدوقهم^٦.

^١ نحو تعليم اللغة العربية وظيفياً، داود عبده، مؤسسة دار العلوم، الكويت، ١٩٧٩، ص ١٦٠٥.

^٢ ظ: أصول، ص ٣٥.

^٣ م، ن، ص ٣٣.

^٤ تاريخ القراءة، البرتو مانغويل، ت سامي شمعون، دار الساقى، بيروت، ٢٠٠١، ص ٩٥.

^٥ فصول ذاتية من سيرة غير ذاتية، د. علي جواد الطاهر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٢٥.

^٦ ظ: أصول، ص ٣٤.

ثانياً. التعبير:

التعبير عند الطاهر درس من صميم الحياة مادة ووسيلة، يعنى بمواهب الطلبة، ويثير فيهم مواهبهم الكامنة عندما يكون انشاء، فيضفي على الطالب الشعور بالارتياح، ويضيف خدمة للبلاد بإعداد أدبائه^١. ويفرق الطاهر بين مصطلحي التعبير والانشاء ويرى أن الغاية المباشرة من درس التعبير هي إعانة الطلبة على أن يتحدثوا أو يكتبوا في أحد الموضوعات بلغة عربية مقبولة، فيستطيعون الانتفاع بعملهم هذا في تعاملهم وعرض وجهات نظرهم. أما الانشاء فهو أن يبديع الطالب صفحات فيها خيال وصور وعواطف وأفكار، كما يفعل الشعراء أو الكتاب، وليس في مقدور الطلبة كلهم ذلك، لأنه يقتضي موهبة خاصة. وعلى المعلم أن يشجع الطلبة على الابتكار لكي تكون في التعبير بعض مدلولات الانشاء^٢. واختلف الباحثون أيضاً حول أهمية التعبير والانشاء وأي نوع أولى بالتدريس، فالدكتور نعمة رحيم العزاوي مثلاً يرى أن على معلمي التعبير أن يديروا تلاميذهم على التعبير غير الفني لشدة حاجتهم إليه في حياتهم العامة، أما التعبير الابداعي أو الانشاء فلا فائدة من تدريسه لأنه لا يتاح إلا لقلّة من تلاميذهم، فإذا اكتشفوا هذه القلة، كان عليهم مراعاتهم^٣. ويرى د. ابراهيم محمد عطا "إن التعبير الوظيفي هم الأساس في تدريب التلاميذ لكي يتحقق الاتصال الناجح بين الناس"^٤، ويرى الباحث أن رأي الطاهر يمثل الرأي المناسب للانشاء، لأنه لم يدع قط إلى ترك الانشاء والاقتصار على التعبير الوظيفي، بل حاول أن يجمع بينهما. قدم الطاهر في كتابه معياراً لتصحيح التعبير يتكون من ستة فقرات، هي: الألفاظ والتراكيب، توضيح الفكرة والابانة عن العاطفة، النحو، الخط، الاملاء، هندسة الصفحة. والحقيقة إن هذه المعايير تكاد أن تكون مشتركة بين عدد كبير من كتب طرائق تدريس اللغة العربية مع اختلاف في التسميات والتقسيمات. ويميل الطاهر في اختيار الموضوعات إلى أن يشترك المدرس مع الطلبة لاختيار عدد من الموضوعات لكتابتها على السبورة ثم اختيار الموضوع المناسب لأن "من محاسن هذه الطريقة أنها تجمع ميزات الطرق الأخرى وتلتقي بها رغبة المدرس برغبة الطلبة"^٥، ويعتقد الباحث إن لموهبة الطاهر في الكتابة الإنشائية أثراً في دعوته للاهتمام في التعبير الانشائي وضرورة تدريب الطلبة عليه، وإن لإيمانه بطرائق المناقشة والحوار في التدريس أثراً في تحبيذه لطريقة الاشتراك مع الطلبة لاختيار موضوعات الانشاء.

ثالثاً. القواعد (النحو):

يرى الباحث أن الفصل الذي خصصه الطاهر للقواعد أو النحو كان فصلاً اعتيادياً، إذ اقتصر على شرح طرائق تدريس القواعد وهي الطريقة الالفائية والتكشيفية والاستقرائية والاستنتاجية، ثم بين أن لكل طريقة محاسن ومساوئ وأن على المدرس الناجح أن يختار الطريقة المناسبة ورأى أن طريقة الاستقراء التكشيفي هي الطريقة المناسبة. وفي الخطوة رقم (١١) من خطوات الفصل قدم الطاهر نصيحة للمعلمين في حالة مواجهة المعلم بسؤال محرج لا يجد له جواباً، فلا بأس أن يلجأ المعلم إلى شيء من الدهاء في تجنب السؤال، وتأجيل الجواب إلى مناسبة أخرى، يكون المعلم فيه على استعداد أفضل، أو أن يعترف المعلم بجهله بالجواب إذا كان السؤال خارج مدار اختصاصه، على إن لا يتكرر ذلك، ومما لا شك فيه أن الاعتراف بالجهل خير من الجواب الخاطئ، كما يقول الطاهر، وقد واجه الباحث مثل هذه المشكلة، فاستطاع أن ينجو منها ويؤجل الجواب إلى مناسبة أخرى، بفضل نصيحة الطاهر.

^١ م، ن، ص ٥٥. ٥٦.

^٢ م، ن، ص ٤١.

^٣ من قضايا تعليم اللغة العربية، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، الجمهورية العراقية، وزارة التربية، بلا ت، ص ٦٤ و ص ٧٦.

^٤ المرجع في تدريس اللغة العربية، ابراهيم محمد عطا، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٢١.

^٥ ظ: أصول، ص ٤٤.

ويعترف الطاهر إن درس النحو درس صعب، وأقل ما تدل على صعوبته هذه المحاولات الجمة في محاولة تيسيره وتبويبه^١ ومن خلال المقابلات التي أجراها الباحث مع عدد من تلامذة الطاهر، أجمعوا على أن الطاهر في درسه كان يحرص على تجنب العامية، ويتحدث بلغة فصيحة مفهومة للجميع، ويصحح للطلبة ما يلحنوا به، بل هو يحرص في المؤتمرات والمهرجانات على تصحيح الأخطاء الصرفية أو النحوية للباحثين قبل مناقشتهم كما حدث في ملتقى الابداع العراقي ١٩٩٤ إذ صحح بعض الكلمات للناقد عبد الجبار البصري^٢.

ويود الباحث أن يشير إلى رأي مهم للطاهر حول من يؤلف كتاب قواعد اللغة العربية، فيحدثنا في كتابه (أساتذتي ومقالات أخرى) أن أستاذه محمد أحمد المهنا قد عرض عليه الاشتراك معه في تأليف كتاب في قواعد اللغة العربية بعد أن شهد المهنا ما يلاقه الطلبة من عنت وما تلقى العربية من ضيم "ولكني لست مختصاً بالنحو أو اللغة...". أجاب الطاهر فرد عليه أستاذه "وهذا هو سبب أساس رشحك للمهمة" إذ يرى الطاهر كما تعلم من استاذة المهنا إن اشتراك مختص في الأدب في تأليف كتاب مدرسي في النحو يخلصه من الجمود ويشذب الزائد ويبعد الغريب^٣.

المبحث الثاني

النصوص وتاريخ الأدب والنقد والبلاغة

أولاً: النصوص :

يفرد الطاهر في كتابه فصلاً للنصوص، فيما تسمى الكتب الأخرى في طرائق التدريس هذا الفصل باسم (الأدب والنصوص) ويرى الطاهر أن يكون للنصوص كتاب خاص، وسنرى لاحقاً أسباب هذا الفصل بين الأدب والنصوص. والنصوص عند الطاهر هي: "مختارات من الشعر والنثر تقرأ انشاداً أو القاء وتفهم وتندوق، وتحفظ (عادة) رعاية لجمال سبكها وبهاء أفكارها لحاجة إليها واحتفاظاً بها على أنها من التراث الخالد"^٤.

والطاهر في رأيه هذا يتفق مع مصطلح الأنطولوجيا أو المختارات الأدبية Anthology وذلك لأنها تقوم في الأصل على تحكيم الذوق في العناصر الفنية التي تسري في القصائد المختارة. ولعل كتاب (الحماسة) لأبي تمام من أشهر كتب المختارات الأدبية ويوصف بأنه المدرسة الكبرى التي تخرج فيها جمع كبير من الشعراء والمتأدبين حتى اليوم. لقد استطاع ابو تمام من خلال هذه المختارات الشعرية التوكيد على مبدأ الجودة الفنية، والذوق الشعري الصافي، معياراً نقدياً في الإختيار^٥. لذلك يركز الطاهر على مراعاة العنصر الجمالي والجو السائد في النص، وهي أمور لا تقيم وزناً لها الطريقة القديمة، ويشير الطاهر إلى أن خطوات تدريس النصوص مشابهة لخطوات تدريس القراءة، ويؤمن في درس النصوص بطريقة المناقشة والحوار، وأن يستمع المدرس إلى آراء التلاميذ في النص المقروء، فرب طالب يقدم معنى لفقرة في القصيدة لم يخطر بذهن المؤلف أو المدرس، والتربية الحديثة تشجع الطالب على إبداء رأيه، ويشترط الطاهر على الطالب حفظ النصوص لأن للإنسان حافظاً يجب أن تتمى، ويرى أن درس النصوص درس إنشاد فقط ويركز الطاهر على ان يكون المدرس قدوة في الحفظ والأداء الفني للنصوص^٦. ويرى الباحث أن سبب إفراد فصل للنصوص الأدبية يعود إلى المنهج العلمي في درس الأدب، لأن المنهج يفرض على المؤلف أن يستشهد بالنصوص الرديئة أو ذات الأغراض غير المحبذة

^١ م، ن، ص ٥٧. ٦٦.

^٢ الكتاب الذهبي، نازك الملائكة، إعداد علي الطائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥، ص ١٢٤.

^٣ ظ: أساتذتي، ص ٦٦.

^٤ ظ : اصول ، ص ٦٧.

^٥ آفاق في الأدب والنقد، د. عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.

^٦ ظ : اصول، ص ٧٠. ٧٦.

اليوم، وذلك لإعطاء صورة واضحة عن المشهد الأدبي لعصر ما، أما درس النصوص فلا يفترض عصر ما للمختارات فريماً يتجاوز نص من العصر العباسي مع نص من العصر الحديث إذا تشابها في عنصر جمالي معين.

ثانياً . تاريخ الأدب :

وكما قلنا سابقاً إن كتاب تاريخ الأدب أو الأدب والنصوص يختلف عن كتاب النصوص بتبويب المادة بحسب عصورها التاريخية، وإنما لا نقف من النصوص عند الأحسن فقط وفيه يأخذ الطالب قسطاً من حياة الشاعر، وشيئاً عن العصر الذي عاش فيه، وقيمه السياسية والاجتماعية إلى غير ذلك من منهج الأدب، ولحظ الطاهر غلبة الجانب التاريخي على بعض الكتب المقررة على المدارس إذ كان اسم الكتاب (تاريخ الأدب العربي) وللدروس بهذا الاسم أضراره كما يرى، لذلك يرى الطاهر أن كتاب الأدب والنصوص يجب أن يكون وسطاً بين النصوص والتاريخ، وإنما يجب أن نأخذ من التأريخ ما يكون إطاراً للنص ويعين على فهمه. وعندما يصل الطاهر إلى طرائق تدريس الأدب، يعرض لطريقتين، هما الطريقة الالقاءية الاستنتاجية، والطريقة الاستقرائية التشفيفية، ويحبذ الطاهر أن يجمع المدرس بين الطريقتين على أن يكون أقرب إلى الطريقة الاستقرائية التشفيفية^١. وكان الطاهر في درس الأدب يميل إلى استعمال طريقة المناقشة والحوار وطرح الأسئلة المثيرة للتفكير، ولا يعتمد في اختباره التحريرية على الأسئلة التقليدية المعتمدة على المستوى الأول من مستويات (بلوم) وهو مستوى التذكر فقط، بل كان يعتمد إلى أسئلة من مستوى التحليل والتركيب أو مستوى التطبيق^٢.

وفي القرن الواحد والعشرين تعددت طرائق التدريس، ولم تعد الطريقتان السابقتان وحدهما في درس الأدب، فقد دخلت طرائق وأساليب أخرى مثل طريقة المناقشة، والطريقة الاستكشافية، وطريقة التعلم بالبحث، وطريقة العصف الذهني، وطريقة المشروعات وغيرها، والحق لو أن هذه الطرائق كانت متداولة ومعروفة في الأوساط التعليمية وقت تأليف الكتاب، لما تواني الطاهر عن شرحها، وبيان مزاياها ليكون المعلم على علم بها.

لكن الطاهر أشار إلى أنشطة وأساليب تعليمية تعد حديثة في ذلك الوقت وقد طبقها عملياً، لإحداث تغيير علمي وتربوي مرغوب عند الطالب، ومن هذه الأنشطة والأساليب: الرحلات الأدبية إلى المتاحف أو دور النشر أو المكتبات العامة، ومنها أيضاً السينما، أي مشاهدة فلم روائي وتسجيل انطباعات الطلبة حوله، أو المقابلات الأدبية لبعض الشخصيات من النقاد والشعراء والروائيين، لتعريف الطلبة بهم ولكي يتهيأ لهم موقف من هذه الشخصية^٣، وقد استقبل الطاهر في غرفة الصف في الجامعة ذات يوم الشاعر والروائي يوسف الصائغ، وجعله يتحدث عن تجربته الأدبية مع الطلبة مباشرة^٤.

ثالثاً . النقد والبلاغة :

يعد موضوعا النقد والبلاغة من الموضوعات التي أثارت نقاشاً في درس اللغة العربية، ومازال النقاش دائراً حتى اليوم حول الأهمية النسبية لدرس البلاغة، أما النقد فقد تأخر عندنا في دخول مناهج الدراسة لعدة اسباب، أوجزها الطاهر بجمود دراستنا، وأن القضايا الأدبية لم تكن لديها الشبوع مثل اليوم، ولقلة خبرة القائمين على تأليف الكتب المنهجية، ولهيمنة البلاغة على النقد^٥. وإذا قبل النقد اليوم وذلك لتعريف الطلبة ببعض المصطلحات والموضوعات الأدبية وتاريخها وخصائصها، فإن "جوهر" البلاغة بقي هو إياه، أي جافاً "محترقاً" وإن إلغاء هذا الدرس لا يخلو من مجازفة، لذا استقر

^١ م، ن، ص ٧٧. ٨٣.

^٢ مقابلة مع تلامذة الطاهر.

^٣ م، ن، ص ١٠٥.

^٤ مقابلة مع تلامذة الطاهر.

^٥ أصول، ص ٨٦.

الرأي على دمج الموضوعين في درس واحد، ويرى الطاهر أن في الدمج اعتباراً كثيراً، لذلك اختار العراق أن يكون له كتاب في البلاغة وكتاب في النقد^١.

ويحبذ الطاهر الطريقة الالفائية لتدريس النقد، لأن هذه المصطلحات المنقولة من الأدب الغربي لا تحتل النقاش أو أخذ رأي الطلبة فيها، وهو الجانب النظري من الدرس، أما الجانب العملي من الدرس فمن الممكن ان تبرز فيه شخصية المدرس، فيستطيع مثلاً ومن خلال تحليل قصة قصيرة مع الطلبة بأسئلة مثل : ما الحادثة فيها؟ من هي الشخصية الرئيسة في القصة؟ هل هناك مواقف نفسية فيها؟ من حاور البطل؟ .. ومن مجموع الأجوبة وما يضيفه هو يستطيع المدرس أن يخلص إلى تعريف القصة القصيرة وإلى أهم مزاياها^٢.

ويعد كتاب (البلاغة الواضحة) في سلبها وفي إيجابها، من أشهر الكتب التي دخلت المنهج المدرسي والجامعي في العراق، ويرى الطاهر أن الكثير من الأساتذة قد تأثر بالكتاب و(سرق) منه الكثير من المؤلفين^٣، والحق أنها حقيقة واقعة لم يستطع غير الطاهر أن يشير إليها!!

ويشير الطاهر إلى (بلادة) درس البلاغة لو أننا درسناه لكي نقول هذه استعارة، وهذا جناس، أو لكي نأتي بمثال فيه جناس مثلاً، لكن العملية التربوية تقوم على الذكاء والحياة، لذلك نحن ندرس البلاغة لنلاحظ ما أحدثه الجناس أو الاستعارة من جمال أو (قبح) في النص الأدبي، لأن وجود صورة من صور البلاغة في نص من النصوص لا يعني شيئاً بذاته^٤. والحق أن الآراء التي جاء بها الطاهر في تدريس البلاغة تتفق مع المدرسة الحديثة في تدريس البلاغة من حيث:

. ترك الفصل بين علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) وجعلها وحدة واحدة.

. التخفيف من المصطلحات البلاغية والتقسيمات المتعددة للمصطلح.

. جعل البلاغة جزءاً من الدراسات الأدبية والنقدية.

. الاهتمام بالنواحي النفسية والوجدانية للنص، والحديث عن عواطف النص وموسيقاه^٥.

الخاتمة

لعلي جواد الطاهر جهود وأعمال زادت عن الخمسين عملاً في النقد والتحقيق والمقالة وله خبرة تعليمية واسعة استمدها من دراسته في العراق ومصر وفرنسا ومن تدريسه في المدارس الابتدائية والمتوسطة والجامعية في العراق وعدد من البلدان، وتعد طرائق تدريس اللغة العربية من ضمن اهتماماته التربوية والعلمية. إذ نجد آراءه مبنوثة في عدد من مقالاته وفي الكتاب الذي تركه بعنوان (أصول تدريس اللغة العربية) الذي كان ثمرة لتجربته العملية في التدريس.

تأثر الطاهر بعدد من الشخصيات العلمية والتدريسية التي تتلمذ عليها واستطاع إن يطور الخبرات التعليمية التي حصل عليها وأن يمزجها بمعرفته وخبرته ودقة ملاحظاته ليخرجها لنا في الكتاب الأنف الذكر. وكان الطاهر بوصفه تلميذاً وفيماً لأساتذته وأن كتابه (أساتذتي ومقالات أخرى) دليل على ذلك.

استطاع الطاهر في ممارسته التعليمية التي امتدت أكثر من خمسين عاماً أن يترك أثراً جلياً في جميع من تتلمذ عليه مباشرة، أو عن طريق تلامذته أو عن طريق كتبه.

^١ م، ن، ص ٨٩.

^٢ أصول، ص ٩١.

^٣ م، ن، ص ٩٣.

^٤ م، ن، ص ٩٤.

^٥ فصول في تدريس الأدب والبلاغة والنقد، عبد الفتاح الجعلي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٦، ص

وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب قياساً إلى كتب أخرى إلا أنه جاء خالياً من الفضول والزيادات والتكرارات، لأنه بحق ثمرة تجربة حقيقية.

المصادر

أولاً : الكتب.

١. أساتذتي ومقالات أخرى، د. علي جواد الطاهر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٥.
٢. أصول تدريس اللغة العربية، الدكتور علي جواد الطاهر، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤.
٣. آفاق في الأدب والنقد، د. عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.
٤. تاريخ القراءة، البرتو مانغويل، ت سامي شمعون، دار الساقى، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.
٥. طرائق التدريس العامة، توفيق احمد مرعي ومحمد محمود الحيلة، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط٥، ٢٠١١.
٦. فصول ذاتية من سيرة غير ذاتية، د. علي جواد الطاهر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤.
٧. فصول في تدريس الأدب والبلاغة والنقد، عبد الفتاح الجعلي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٦.
٨. الكتاب الذهبي، نازك الملائكة، إعداد علي الطائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥.
٩. مداخل تعليم اللغة العربية/ دراسة مسحية نقدية، د. احمد عبده عوض، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٠.
١٠. المرجع في تدريس اللغة العربية، إبراهيم محمد عطا، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦.
١١. مقالات الباب الواسع، اعداد وتقديم محمود كريم الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٧.
١٢. من قضايا تعليم اللغة العربية، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، الجمهورية العراقية، وزارة التربية، بلا ت.
١٣. موسوعة المفكرين والأدباء العراقيين، ج ١٩، حميد المطبعي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤.
١٤. نحو تعليم اللغة العربية وظيفياً، داود عبده، مؤسسة دار العلوم، الكويت، ١٩٧٩.

ثانياً: المقابلات:

مقابلات مع تلامذة الطاهر وهم:

١. الدكتور سعيد عدنان/ كلية التربية، جامعة القادسية.
٢. الدكتور عدنان العوادي/ كلية الآداب، جامعة بابل.
٣. الدكتور قيس حمزة الخفاجي/ كلية الآداب، جامعة بابل.
٤. الدكتورة نادية غازي العزاوي/ كلية التربية، الجامعة المستنصرية.